الثورية ونظرية البؤر الثورية

بقلم عزيز السيد جاسم

بعد أن خرجت الثورة العالمية من حدود الاحتمال الى حدود حتمية الظفر ، فرضت مواقع العمل الثوري وظروفه مسائل تكنيكية عديدة بلورت بشكل مكشوف التغاير في استعمال الوسيلة الثورية ، وامكانية العمل الثوري في اختيار أدواته وأسلوبه المميز . بحيث بدا ، أكثر من أي وقت مضى ، ان الاصرار على أسلوب عملي معين ومحاولة تعميم تجربة أو تجارب ثورية معينة لا يعني الا الانطلاق من فهم غبي ودوغماطيقي لمفهوم الثورة .

ولما كانت التجربة الكوبية الرائدة قد أغنت الثورة العالمية تطبيقيا فقد اقترن شعار (البؤر الثورية) بهذه التجربة بوضوح برزه بجلاء (كاسترو) و (غيفارا) و (دوبريه) والعديد من الثوريين الجدد الذين منحوا الثورة مذاقا رومانسيا عجيبا . وكان أن احتدمت مناقشات كثيرة حول هذه المسائل المطروحة بشكل ساخن وآني بحيث أصبح كل ثوري مطالبا بتكوين وجهة نظر موحدة وغير مضطربة بهذا الخصوص .

لذلك فالسؤال يطرح منذ البدء بهذه الصيغة : هل ان الاجتهادات الثورية منطلقة من مصطلح البؤر الثورية ومدى بعده التأريخي ، أم انها تتعلق بأطروحة أو أطروحات ثورية أخرى ؟

ان الجواب هنا يقتضي أساسا التأكيد على حقيقة ان (البؤر الثورية) بحد ذاتها ليست نظرية أو تطويرا محدد المعالم للفكر الثوري المعاصر ، فالبؤر الثورية أدركها الانسان الثوري بالفطرة قبل أن تشير لها الايديولوجية الثورية ، بحيث نستطيع القول ان البؤر الثورية لم تكن قرارا اختياريا أو ابداعا في الاساليب الثورية . لقد كانت بالاصل رد فعل ثوريا كان على الشخص أو القوة المحرجة أن تختاره وجوبا واضطرارا كامل الطبيعية للدفاع عن الحرية الانسانية . ولذلك فان جميع الحركات التحررية في العالم ومنذ الازمان السحيقة كانت تستعمل (البؤر الثورية) بدرجات حسب اقتضاءات طبيعة البلد والزمن . وكان هذا الامر عمليا تماما ، ولئن غامت ملامحه في بعض الحركات الحضرية فقد كان مجرد هروب (المصلح) أو (الثائر) الحضري واختفائه في قرية ما هو تمهيد لتأسيس لبؤرة ثورية . علما بأن مما يدخل في حسابنا أن الخط البياني الانتقالي لنموات (البؤرة الثورية) لا يغفل أبدا حساب (الزمان) و (المكان) و (القدرة البشرية) .

ولذلك فان المسألة ليست هي مسألة (البؤر الثورية) أو سواها ، كما يحلو للبعض من الشراح والمتحدثين الاستفاضة بالحديث حولها ، وانما هناك المسألة المهمة والتي تشكل الخلفية التي أثارت المحاورات القائمة . هذه المسألة هي : في ظروف العمل الثوري لمن القيادة ، للمدينة أم للريف ؟ و (الريف يعني لدينا دون تجاوز كل ما يبتعد عن المدينة من حقل أو سهل أو جبل أو سوى ذلك) .

هذه هي القضية المزمنة التي ابتدأت منذ النقطة الاولى ـ عقائديا ـ في ثورة الصين ، وخلقت انقسامات عديدة في القيادات الثورية . ولما كان الامر في ذلك الحين هو التواجه مع التجربة الجديدة بما يترتب على ذلك من خطأ أو اضطراب في تطبيق العقيدة على التجربة أو التجربة على العقيدة ، فان الامر في هذا الحين يكون مختلفا جدا لاننا الآن نستقرىء في حين ان (الآباء) كانوا يغامرون !

ان الوضعية الحقيقية والبارزة هي بهذا الشكل :

(أولا) : من هم القادة ، العمال أم الفلاحون ؟ أي المدينة أم الريف تجاوزا ؟

(ثانيا) : أين تتعين القيادة والعمل النضالي في المدينة أم في الريف ؟ وهل يكون ذلك مشروطا بالمدينة ـ العمال ، أم القرية ـ الفلاحين ؟

من خلال هذين السؤالين نبحث عن المنطلق .

والواقع اننا لا بد أن نتعرض للمقولة الثورية الشهيرة التي أكدت الفعل القيادي الرئيسي للعمال ، ونعطي لهذه المقولة بعدها المشرق .

لماذا العمال ؟

(أولا) : ان ظروف الطبقة العاملة ترشحها لاستلام القيادة السياسية فيما اذا أخذنا بعين الاعتبار تأريخية التطور الاقتصادي والعلمي . لان هذه الظروف توضح ان (البرجوازية) التي أنهت أو تنهي (الاقطاع) هي تحرير للفلاح وتأسير للعامل . وان العبودية المتنقلة تاريخيا وعلميا تؤكد ان آخر العبيد في العالم وفي نضج التطور هم العبيد العمال . اذ عندما يتحرر (الفلاح) ويمتلك قطعة أرض انما ينال بغيته (الملكية الفردية) من قيادة (البرجوازية) التقدمية أولا فقط . ولما كانت

الثورة للمظلومين فان مـــن مميزات عصر العلم والذرة والآلة الهائلة أن يقود الاجراء الثورة حتى النقطة النهائية.

(ثانيا) : وبالنسبة للوعي الطبقي نجد ان الفلاحين ـ وبأبسط اطلاع ـ يمثلون قوة كبيرة مظلومة ولكنهـــا حبيسة تهويشات عديدة ، انها تتأثر بالخرافات والغيبيات وتجهل مسائل كثيرة ، ان طبقة الفلاحين لا يصلها العـلم الحقيقي والتطور التكنولوجي مباشرة ، انما يصل اليهـا الانعكاس أو مويجات الموج الاصلي . في حيـــن ان وعي الطبقة العاملة هو الوعي الجريء لانه الوعي الـذي يقف وراء الآلة والعلم . أي ان وعي العمال الطبقي أكثر اشراقا وتوهجا في حين ان الوعي الفلاحي يتخلخل بحيث يمنح نفسه أحيانا للوضعية العشائرية دونما اهتمـام لقناعاته الجديـدة .

(ثالثا) : ان بعد الفلاحين عن المدينة يفعل فعله . ففي المدينة ـ هذه البؤر الحضارية ـ حيث يجـري كل شيء وحيث ينمو العلم والمناقشات والعلاقات مع الخارج يكون العمال من الاوائل الذين يفهمون كل شيء بحكـم وضعهم : انهم المنشئون الاصليون ، لكن الفاقة نصيبهم !

(رابعا) : ان الفلاح في نعيمه قد يتوقف عـن النضال بمجرد أن يحقق امتلاكه الخاص للارض . ولكنه في بطالته يهرب الى المدينة متحولا الى عامل . وهـذا الاستقطاب يوضح ان أغلب الفلاحين الشديدي البـؤس يضحون عمالا ، وبذلك تتلخص الحالة بصورة جديـدة لان العمال الاوائل الذين يجسدون النضال الطبقي انمـا يستلمون أنصارا جددا يؤكدون النواة الاصلية .

اذن فالعمال هم المرشحون لتحريك التأريخ بحكم العلم وبحكم طبيعة الطبقـــة الحاكمة محليا أو عالميـــا ـ بعضا ـ أي الطبقة الرأسمالية . ولكن ...

وهنا يكون الاستدراك موضوعيا فعلا . ان المدينة تمت بحكم نشوئها بفعل الصناعة والتأسيس البرجوازي المضاد للاقطاع . أي ان المدينة هي بقيادة البرجوازيـــة تأريخيا وفيما قبل الظهور الاشتراكي . وبعد أن ظهرت الحركات الثورية في المدن ، وبعد أن أدركت البرجوازية ان موتها سيكون بفعل ضربات الطبقة العامـلة ، ولقدرة البرجوازية على الاحتيال ولمكرها في محاربة العـــدو الاشتراكي لها فانها عرفت كيف تحجز ـ بعض الشيء ـ الطبقة العاملة عن دورها الثوري السريع . ولذلك فقـد استعملت البرجوازية عدة وسائل برجوازية أو شبـه اشتراكية منوعة لتدمير الوعي الطبقي في المدينـــة أو للابقاء على هذا الوعي الطبقي في حدوده النظرية والسلمية ومنعه من أن يتحول الى ثورة جذرية اشتراكية . ولذلك فان الثورة العالمية أصبحت في بعض البقاع وكأنها أسيرة لمؤثرات الصنع البرجوازي من (السلم الطبقي) الـــى (البرلمانية) الى (التدرجية) ... الخ .

وبقدر ما توصل اليه الخبث البرجوازي المعـادي للبشرية فان ذلك كفل أيضا للثورة العالمية حركة جديـدة وأسلوبا جديدا . ولذلك ظهر للوجود ان (الطبقة العاملة) تستطيع أن تنقل نضالها الثوري خارج المعمل والمدينة . وهذا النقل ليس اجتماعيا شرطا بمعنى انه لا يستوجب أن تذهب الطبقة العاملة كلها للريف لممارسـة النضال ، ولكنه نقل سياسي يستبيح ابتداء النضال المسلح مـن الريف للقيام بالتحرير .

الفلاحون الثوريون كحليف مباشر :

وهذا النضال المسلح من الريف كائنا ما كان نوعـه أو أداته الاجتماعية محسوب تأريخيا بقيادة الطبقـــة العاملة بحيث تكون الطبقة العامـــلة مدانة سياسيـــا ـ والمقصود هنا تنظيمها ـ فيما اذا لم تع هذه المسألـة أو لم تلتحق بها ، ويكون الفلاحون أداة للبرجوازيـــة ، هائلة وخطرة ، فيما اذا لم يعرفوا قيادتهم الاصيلة المحالفة للثورة العمالية .

ان (كاسترو) و (غيفارا) و (دوبريه) ليسـوا فلاحين ولكنهم يعتنقون مبادىء الفلاح الثوري . وهـذه المبادىء ليست مبادىء فلاحية اطلاقا فحسب بل هـي مبادىء بشرية تأريخية ، مبادىء تحمل ما بعد الانتصـار تحويل الفلاح الى مسؤول يدرك تماما خطر الانانية الطبقية والملكية الفردية .

الفلاحون قوة اجتماعية ضخمة تستطيع ، اذا كان هناك تحريك سياسي جيد ، أن تمارس دورا تحويليـا خطيرا ، ولكن هذا لا يعني ان الفلاحين باستطاعتهم كقوة منفردة أن ينشئوا مجتمعا اشتراكيا . ان الوعي العلمي لطبيعة الفلاح الطبقية وذهنيته تجعلنا ندرك ان موضوع قيادة الفلاحين للحركات الثورية التغييرية غير وارد أبدا.

ولذلك فان من المهم جـدا ـ تحريكيا وسياسيا ـ العمل على تحويـــل تأثر البعض من الطبقة الفلاحيـــة بالبرجوازية الى ارتبـاط خصب وموضوعي ومـــدرك بالطبقة العاملة .

ان تأريخ العمل السياسي في العالم لم يسجـــل ثورة فلاحية استكملت أهـــدافها واستلمت السلطـة السياسية المستقرة ، بل ان الفلاحيـــن ـ وهذا مسطر تأريخيا ـ كانوا حلفاء سياسيين للطبقة الرائدة ، فهـم حلفاء للبرجوازية بعد أن تتبنى وقتيا شعارات فلاحيـــة وتضمن لهم في حالة توافر الديمقراطية البرجوازية تملك الارض التي يحرثونها . ومن ثم يضحون في تأريخ الثورة الاشتراكية ، حلفاء طبيعيين للطبقة العاملة بحكم انهمـا الطبقتان الكبيرتان المسحوقتان تحت وطأة الاضطهـــاد الطبقي . ولان الطبقة العاملة تستطيع مواصلة نضالهـا حتى النهاية دونما خدعة برجوازية .

البؤرة وسيلة وليست صيغة نهائية :

ان القـــوى الاجتماعية للثورة فـي البلدان ذات الصناعة الثقيلة والتطور التكنولوجي واضحة جدا وتلعب فيها الطبقة العاملة في المدن دورا ثوريا كبيرا اذا توفرت القيادة السياسية الثـــورية الكفوّة . ومتى ما تبلورت الطبقـــة العاملة بشكل بارز وكقـــوة تمتلك كل المؤهلات الثورية فان الاعتماد على (البؤر الثورية) خارج المدينة يكون في الدرجة الثانية . ان الطبقـــة العاملة (الالمانية) و (الفرنسية) و (الاميركية) و (الانكليزية) قادرة على التخطيط للثورة الاشتراكية دون استغناء عن حلفـائها ، بحيث يكون هذا النضال السياسي عريضا يشل حريـــة البرجوازية وحركتها لساعة التفجير الاشتراكـي ، وان وجدت (البؤر الثورية) ــ وهي ضرورية أيضا ــ فستكون كأجنحة للعمل الثوري الذي تمارسه الطبقة العـــاملة في المـدن .

أما في المناطق المتطورة حديثا ، ودول العالم الثالث (آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية) فان الطبقة العـاملة مسؤولة تأريخيا عن قيادة النضال السياسي ، ولكن هذا لا يعني الاصرار على ذلك حرفيا . ان النضال لا يمكـن أبدا أن يخضع لافتراضات أو تعليمات خارجية من حيث ان المعارك تحدد أبطالها الحقيقيين .

ان العمال لم يتجسدوا كقوة طبقية صدامية قادرة على تحطيم البرجوازية في داخل المدن ، لذا فان تصعيد القتال التحرري ونقله الى الريف وتوليد البؤر الثوريـة المشعـــة والتي تضايق الاعداء وتحاصرهم وتفقدهـــم رباطة جأشهم ، انما هو توكيد لعدم جدوى التحجر فـي أساليب معينة . وبالمقابل فان البعض مـــن اليساريين التقليديين يتصدون لهذه المرونة الثورية المعطاة بحكـــم شروط الوضع الطبقي والعالمي ويصرون على قيادة النضال الاسمي من المدينة وحتى لو كان ذلك سلميا . وبالتـالي فانهم أشاعوا أســـلوب المعايشات السلمية مع الاعـداء الطبقيين وأعادوا للاذهان الروح البرلمانية واللاثوريـــة التي رفعتها الاحزاب الاشتراكية اليمينية منذ (الاممية الثانية) وحتى الآن .

ان من الضروري أن ندرك ان حرب (البؤر الثورية) قد لا تكون عناصرها الرائدة عمالية كليا ، أو ان الاكثريـة من العمال ، فميدان الثورة يسحب من ينشد الثـــورة ، ولكن مع ذلك فان نضالها يؤدي المهمة العمالية ويأخـــذ أعباءها على عاتقه . فكما أخذت (الطبقة العاملة) عـلى عاتقها تنفيذ مرحلة (الديمقراطية البرجوازية) فـــي ثورات عديدة ــ مرحليا ــ فكذلك يستطيع الثوريون أن يسهموا في تصعيد الكفاح المسلح الذي يرتبط بالعمـال غاية ونتيجة بأي أسلوب ثوري ومهما تكن الاداة الاجتماعية الثورية . وبذا فان دخول الفلاحين في العمليات الثورية كقوة كبيرة انما يعطي للعمل الثوري أبعادا جديدة وغنية. لان الفلاحين الثوريين يستطيعون أن ينقلوا الثورة الـــى ما وراء المستحيل اذا توفرت القيادة الثورية الواعيـــة لسلسلة الحركات الطبقية والصعود الثوري في العالم . لقد استطاع الفلاحون ، بفعل القيادة السياسية الواعية ، أن يطوروا الحركة الثورية في (الصين) و (فيتنـام) و (كوريا) كنموذج لامكانية الفلاح الثورية النشطة ، ولم يكن هناك بند نظري مقدس يصر على العمل في المدينـة فقط ..

ان طبيعة البلد وقدرة القوى الثورية فيه وطبيعة العدو وأبعاد النضال هي وحدها التي تقرر ساحة المعارك الثورية . فالمسألة ليست مسألة (المدينة) أو (الريف) بل هي مسألة العمل الثوري الذي يختار رقعته التـــي توفر له حرية اكثر . وباستقراء بسيط للحركات الثورية في العالم الثالث يجب الاشـــادة بعمل (البؤر الثورية) المتكامل بشكل يغني النضال البشري ويوسع الافـــق السياسي للثورة ، دون أن يتحول أيضا الى صيغة نهائية في النضال ، لانه يظل مجرد أسلوب تختاره الثورة ومن حق الثورة أن ترسم وتغير أساليبها .

بغداد — **عزيز السيد جاسم**

شعـــر

من منشورات دار الاداب

		ق. ل
● الاعاصير	للشاعر القروي	٣٥٠
● وجدتها	لفدوى طوقان	٣٠٠
● وحدي مع الايام	» »	٣٠٠
● اعطنا حبا	» »	٢٥٠
● ابيات ريفية	لعبد الباسط الصوفي	٣٠٠
● في شمسي دوار	لفواز عيد	٢٠٠
● الفجر آت يا عراق	لهلال ناجي	٢٠٠
● المشانق والسلام	لعدنان الراوي	٢٠٠
● حداء وغناء	لخالد الشواف	٢٠٠
● عاشق من افريقيا	لمحمد الفيتوري	٢٠٠
● احلام الفارس القديم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● اقول لكم	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● فلسطين في القلب	لمعين بسيسو	٢٠٠
● كلمات فلسطينية	لحسن النجمي	٢٠٠
● بيادر الجوع	للدكتور خليل حاوي	٣٠٠
● سفر الفقر والثورة	لعبد الوهاب البياتي	٢٥٠
● الناس في بلادي (ط. جديدة)	لصلاح عبد الصبور	٢٥٠
● الحياة الحب	لابراهيم محمد نجا	٣٠٠